ايضاً اي قلت له كن فكان من غير ترتيب في الخلق كما يكون في الولادة ويحتمل ان يكون المراد انه تعالى خلقه جسداً من تراب ثم قال له كن بشراً فكان فيصح النظم وقيل الضمير في قوله كن يرجع الى عيسى عليه السلام بآدم عليه السلام وقد وجد عيسى من غير اب ووجد آدم من غير اب ولا ام قلنا هو مثله في احد الطرفين فلا يمنع اختصاصه دونه بالطرف الآخر من تشبيهه به لان المماثلة مشاركة في الاوصاف ولانه شبه به في انه وجد وجوداً خارجاً عن العادة المستمرة وهما في ذلك نظيران لان الوجود من غير اب وام اغرب في العادة من الوجود من غير اب فشبه الغريب بالاغرب ليكون اقطع للخصم واحسم لمادة شبهته اذا نظر فيما هو اغرب مما استغربه وحكي ان بعض العلماء اسر في بعض بلاد الروم فقال لهم لم تعبدون عيسى قالوا لانه لا اب له قال فآدم اولى لانه لا اب له ولا ام قالوا وكان يحيي الموتى فقال حزقيل اولى لان عيسى احيا اربعة نفر واحيا حزقيل اربعة الاف قالوا وكان يبرئ الاكمه والابرص فقال فجرجيس اولى لانه طبخ واحرق ثم قام سليماً وقوله كن **فيكون** قال ابن عباس معناه كن فكان فاريد بالمستقبل الماضي وقيل معناه ثم قال له كن فانه يكون لا محالة **الحق من ربك** الذي اخبرتك به من تمثيل عيسى بآدم هو الحق من ربك **فلا تكن من الممترين** اي من الشاكين ان ذلك كذلك وهذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به امته لانه صلى الله عليه وسلم لم يشك قط فهو كقوله تعالى يا ايها النبي اذا طلقتم النساء والمعنى فلا تكن من الممترين يا ايها السامع كائناً من كان لهذا التمثيل والبرهان الذي ذكر فهو من باب التهييج لزيادة الثبات والطمأنينة قوله عز وجل **فمن حاجك فيه** اي فمن جادلك في عيسى وقيل في الحق **من بعد ما جاءك من العلم** بان عيسى عبد الله ورسوله **فقل تعالوا** اي هلموا والمراد منه المجيء واصله من العلو بالرأي والعزم كما تقول تعالى نتفكر في هذه المسألة **ندع ابناءنا وابناءكم** اي يدع كل منا ومنكم ابناءه **ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم** قيل اراد بالابناء الحسن والحسين وبالنساء فاطمة وبالنفس نفسه صلى الله عليه وسلم وعلياً رضي الله عنه وقيل هو على العموم لجماعة الدين **ثم نبتهل** قال ابن عباس نتضرع في الدعاء وقيل معناه نجتهد ونبالغ في الدعاء وقيل معناه نلتعن فالابتهال الالتعان يقال عليه بهلة الله اي لعنة الله **فنجعل لعنة الله على الكاذبين** يعني منا ومنكم في امر عيسى قال المفسرون لما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية على وفد نجران ودعاهم الى المباهلة قالوا حتى نرجع وننظر في امرنا ثم نأتيك غداً فلما خلا بعضهم ببعض قالوا للعاقب وكان كبيرهم وصاحب رأيهم ما ترى يا عبد المسيح فقال لقد عرفتم يا معشر النصارى ان محمداً نبي مرسل ولئن فعلتم ذلك لتهلكن فان ابيتم الا الاقامة على ما انتم عليه من القول في صاحبكم فوادعوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد احتضن الحسين واخذ بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي يمشي خلفها والنبي صلى الله عليه وسلم يقول لهم اذا دعوت فامنوا فلما رآهم اسقف نجران قال يا معشر النصارى اني لارى وجوهاً لو سألوا الله ان يزيل جبلاً لازاله من مكانه فلا تبتهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الارض نصراني الى يوم القيامة فقالوا يا ابا القاسم قد راينا ان لا نباهلك وان نتركك على دينك وتتركنا على ديننا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فان ابيتم المباهلة فاسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم فابوا ذلك فقال فاني اناجزكم فقالوا ما لنا بحرب العرب طاقة ولكنا نصالحك على ان لا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردنا عن ديننا وان نؤدي اليك في كل سنة الفي حلة الف في صفر والف في رجب زاد في رواية وثلاثين درعاً عادية وثلاثا

وثلاثين

وثلاثين بعيراً واربعاً وثلاثين فرساً غازية فصالحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك وقال والذي نفسي بيده ان العذاب تدلى على اهل نجران ولو تلاعنوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي ناراً ولاستأصل نجران واهله حتى الطير على الشجر ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى هلكوا **فان قلت** كيف كان دعاؤه الى المباهلة الا ليتبين الصادق من الكاذب منه ومن خصمه وذلك يختص به وبمن يباهله فما معنى ضم الابناء والنساء في المباهلة **قلت** ذلك آكد في الدلالة على ثقته بحاله واستيقانه بصدقه حيث استجرأ على تعريض اعزته وافلاذ كبده واحب الناس اليه لذلك ضمهم في المباهلة ولم يقتصر على تعريض نفسه لذلك وعلى ثقته بكذب خصمه حتى يهلك خصمه مع احبته واعزته هلاك استئصال ان تمت المباهلة وانما خص الابناء والنساء لانهم اعز الاهل والصقهم بالقلب وربما فداهم الرجل بنفسه وحارب دونهم حتى يقتل وانما قدمهم في الذكر على النفس لينبه بذلك على لطف مكانهم وقرب منزلتهم وفيه دليل قاطع وبرهان واضح على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لانه لم يرو احد موافق ولا مخالف انهم اجابوا الى المباهلة لانهم عرفوا صحة نبوته وما يدل عليها في كتبهم وقوله تعالى **ان هذا** يعني الذي قص عليك يا محمد من خبر عيسى وانه عبد الله ورسوله **لهو القصص الحق** واصله من القص وهو تتبع الاثر والقصص الخبر الذي تتابع فيه المعاني **وما من اله الا الله** انما دخلت من لتوكيد النفي والمعنى ان عيسى ليس باله كما زعمت النصارى ففيه رد عليهم ونفي جميع من ادعى من المشركين انهم آلهة واثبات الالهية لله تعالى وحده لا شريك له في الالهية **وان الله لهو العزيز** اي الغالب المنتقم ممن عصاه وخالف امره وادعى معه الها آخر **الحكيم** يعني في تدبيره وفيه رد على النصارى لان عيسى لم يكن كذلك **فان تولوا** يعني فان اعرضوا عن الايمان ولم يقبلوه **فان الله عليم بالمفسدين** اي الذين يعبدون غير الله ويدعون الناس الى عبادة غيره وفيه وعيد وتهديد لهم قوله عز وجل **قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم** قال المفسرون لما قدم وفد نجران المدينة اجتمعوا باليهود فاختصموا في ابراهيم صلى الله عليه وسلم فزعمت النصارى انه كان نصرانياً وهم على دينه واولى الناس به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا الفريقين بريء من ابراهيم ودينه بل كان حنيفاً مسلماً وانا على دينه فاتبعوا دينه دين الاسلام فقالت اليهود ما تريد الا ان نتخذك رباً كما اتخذت النصارى عيسى رباً وقالت النصارى يا محمد ما تريد الا ان نقول فيك ما قالت اليهود في عزير فانزل الله عز وجل قل يا اهل الكتاب تعالوا اي هلموا الى كلمة يعني فيها انصاف ولا ميل فيها لاحد على صاحبه والعرب تسمي كل قصة او قصيدة لها اول وآخر شرح كلمة سواء اي عدل لا تختلف فيها التوراة والانجيل والقرآن ولتفسير الكلمة قوله ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً ارباباً من دون الله وذلك ان النصارى عبدوا غير الله وهو المسيح واشركوا به وهو قولهم اب وابن وروح القدس فجعلوا الواحد ثلاثة واتخذوا احبارهم ورهبانهم ارباباً من دون الله وذلك انهم لم يطيعوهم فيما يأمرونهم به من الشرك ويسجدون لهم فهذا معنى اتخاذ بعضهم بعضاً ارباباً من دون الله فثبت ان النصارى قد جمعوا بين هذه الثلاثة اشياء ومعنى الآية قل يا محمد لليهود والنصارى هلموا الى امر عدل نصف وهو ان لا نقول عزير ابن الله ولا نقول المسيح ابن الله لان كل واحد منهما بشر مخلوق مثلنا ولا نطيع احبارنا ورهباننا فيما احدثوا من التحريم والتحليل من غير رجوع الى ما شرع ولا يسجد بعضنا لبعض

Copyright © King Saud University